المحاضرة العاشرة: أساليب البحث في علم النفس الاجتماعي للعمل

الدرس الأول: طرق البحث

يقسم "فوغهان وهوغ" مناهج البحث في علم النفس الاجتماعي إلى مناهج تجريبية وأخرى غير تجريبية، فالطرق التجريبية فهي التي تتضمن البحوث الترابطية، والتجارب المختبرية، والدراسات الحقلية. أما الطرق غير التجريبية فتتضمن الدراسات الأرشيفية، ودراسة الحالة، والمسح الاجتماعي.

1. **الطرق التجريبية:**

أ. **الاختبارات السببية:**

هي إحدى أهم الطرق التي من خلالها يمكن تحديد الأسباب التي تسبب بعض الأحداث والظواهر وبفضلها يمكن التحكم ببعض الظواهر المتعلقة بالسلوك الانساني.

فالاختبارات السببية لا تقتصر على تأثير عامل على عامل آخر بل أن سبب حدوث ظاهرة ما قد تنشأ بسبب عدة عوامل، مثلا التغيب عن العمل قد يحدث بسبب خلاف مع المشرف، أو عدم التفاهم مع جماعة العمل، أو قد يكون السبب عدم التوافق مع الوظيفة....بمعنى يوجد أكثر من سبب قد يحدث ظاهرة ما.

الدراسات التي يستخدم فيها الترابط (السببية) غالبا ما تكون سهلة الاستخدام طالما تمتلك مقياسا جيدا لقياس الظاهرة، وكان لدينا عينة مناسبة وباحثين قادرين على تطبيق الاستبيان. ومشكلة هذا النوع من الدراسات لا يستطيع أن يعطي دليلا على السبب والمؤثر، وانما نجد ذلك في الدراسات المختبرية.

ب. التجربة المختبرية:

التجربة التقليدية في علم النفس الاجتماعي يجرى عملها في المختبر من أحل السيطرة على المتغيرات التي تتداخل مع ما يراد تجربته، ولكن من عيوبها انها لا تملك القدرة على محاكاة الحياة الواقعية. الهدف من هذه الدراسات هو عملية عزل المتغيرات ووضع متغير بدل آخر لمعرفة أيهم أكثر تأثيرا،فالمختبر يهدف إلى خلق ظروف افتراضية، كما يساهم في معرفة علاقة السبب المؤثر بين المتغيرات.

لكن هذا لا يعني عدم خلو هذه الطريقة من العيوب، فنتائج هذه التجارب لا يمكن تعميمها. وعلى الرغم من ذلك فالنتائج المختبرية تعلمنا درسا في النظرية حول السلوك الاجتماعي حيث يمكن استخدام هذه النظرية للتطبيق في ظروف غير ظروف المختبر. التجارب المخبرية يمكن أيضا أن تتعرض للانحياز في مواطن كثيرة بتأثير الموضوع، والتي قد تجعل سلوك المشارك مصطنعا في التجربة أكثر منه عفويا بسبب التلاعب في المتغيرات. ما يمكن جزمه هنا أن فالمشاركين في التجربة ليسوا اناس حقيقيين كما أن التجربة لا تجرى في موقف اجتماعي حقيقي كون المشاركين معزولين. بالإضافة إلى أمر مهم هو تأثير الباحث في اجابات المبحوثين كإعطائهم اشارات للإجابة الموغوبة هذه الاجابة قد تؤكد من صدقية الفرضية. وهنا يمكن تجاوز هذا العيب من خلالاستخدام باحثين لم يشاركوا في تصميم التجربة.

ت. الدراسات الميدانية:

تعتبر هذه الدراسات من أكثر اهتمامات علم النفس الاجتماعي الحديث، ومن خلالها يستطيع الباحثين تسجيل كل الأنشطة الاجتماعية في بيئتهم الحقيقية وليس المخبرية أو الافتراضية، وهنا الباحثين يمكن أن

يستخدموا تسجيل الملاحظات عن طريق التسجيل الصوتي وربما الأفلام، في التجمعات الاجتماعية، في الشارع في المؤسسات في البيوت...

وعندما تكون الدراسة تعني شخص أو مجموعة أو مؤسسة أو مناسبة فهذه الدراسة تسمى دراسة حالة، وهنا لا يمكن تعميم نتائج هذه الدراسة. ومن خلال استخدام علماء النفس الاجتماعي الاستبيانات والمسوح وغيرها من الأدوات (كالملاحظة والمقابلة).

2. أدوات البحث:

1.2.الملاحظة:

تستخدم الملاحظة أو المشاهدة من قبل الكثير من الناس ومنذ أزمنة تستخدم هذه الأداة من أجل التعرف على مختلف الظواهر المحيطة بالانسان، ثم انتقل استخدامها إلى العلوم الطبيعية ومن ثم العلوم الاجتماعية.

تعد الملاحظة من أهم وسائل جمع البيانات، فهناك ظواهر لا يمكن فهمها وتفسيرها إلا من خلال ملاحظتها ملاحظة حقيقة. فهي تمكن الباحث من دراسة السلوك عند حدوثه، فمن خلال الملاحظة يستطيع الباحث مراقبة الأفراد عند قيامهم بأفعال معينة في مواقعهم دون تغيير.

عرفت الملاحظة كأداة من أدوات جمع المعطيات العديد من التعاريف نذكر منها:

تعرف الملاحظة بأنها "المشاهدة الدقيقة لظاهرة ما، مع الاستعانة بأساليب البحث والدراسة التي تتلاءم مع طبيعة الظاهرة".

تعرف الملاحظة على أنها "عملية مراقبة أو مشاهدة لسلوك الظاهر والمشكلات والأحداث ومكوناتها البيئية والمادية، ومتابعة سيرها واتجاهاتها وعلاقاتها، بأسلوب علمي منظم ومخطط، بقصد التفسير وتحديد العلاقة بين النتغيرات والتنبؤ بسلوك الظاهرة وتوجيهها لخدمة أغراض الإنسان وتلبية احتياجاته."

تقسم الملاحظة وفقا لعدة تصنيفات، حيث تقسم بالنسبة لدرجة الضبط فيها إلى قسمين:

أ. الملاحظة البسيطة: وهي ملاحظة غير مظبوطة، وتكون فيها ملاحظة الظواهر كما تحدث تلقائيا دون اخضاعها للضبط العلمي، بمعنى أن الباحث ليس لديه مخطط مسبق لنوعية المعلومات أو الأهداف ودون استخدام أدوات للتسجيل أو التصوير، وهذا النوع من الملاحظة يستخدم بشكل كبير في الدراسات الاستكشافية بهدف جمع بيانات أولية عن الظاهرة تمكن الباحث فيما بعد من التعمق أكثر في دراستها.

ب.الملاحظة المنظمة: وهي الملاحظة التي تكون مضبوطة مسبقا، حيث يحدد فيها ظروف الملاحظة كالزمان والمكان، وغالبا ما يستعين فيها الباحث بوسائل مثل مسجلات الصوت والكاميرات وغيرها من الوسائل التي تساعد في عملية ملاحظة الظاهرة المدروسة. وعلى خلاف الملاحظة الهدف من البسيطة فإن الهدف من الملاحظة المنظمة هو جمع بيانات دقيقة عن الظاهرة موضوع الدراسة والتي سوف تساعد في اختيار الفروض.

يسمح هذا النوع بوضع الملاحظات في فئات معينة تم تحديدها قبل جمع البيانات. وهو أمر جيد حتى لا يفقد الباحث خيط ملاحظته. تلخص هذه الأداة نطاق الملاحظة: المدة ، الملاحظة المطلوب إجراؤها ، المعلومات التي سيتم الحصول عليها أو التحقق منها.

وتقسم الملاحظة وفقا لدور الباحث إلى:

أ. الملاحظة المشاركة: يقوم الباحث هنا بمشاركة أفراد الدراسة في سلوكهم، حيث يعيش معهم ويمارس نشاطاتهم، ومن الأمثلة على ذلك قيام الباحث بدراسة أحوال المساجين لذلك يعيش معهم كمسجون دون الكشف عن هويته كباحث. وما يميز هذه الملاحظة أنها تزود الباحث بأكبر قدر ممكن من المعلومات الصادقة حول الظاهرة أو السلوك المدروس، وذلك كونها مأخوذة مباشرة من الواقع وليس على لسان المبحوثين.

إلى جانب المزايا الجيدة للملاحظة المشاركة إلا أن من أهم عيوبها هو تحيز الباحث في جمعه للبيانات فقد تحدث صداقات أو تعاطف تحرف الملاحظة عن التفسير العلمي، أو كاتهامه كجاسوس، بالإضافة لإمكانية تعرضه للخطر.

ب. الملاحظة غير المشاركة: وهي الملاحظة التي يقوم بها الباحث من مراقبة او مشاهدة المكان أو الموقف دون مشاركته.

وما يميز هذا النوع من الملاحظة أنها أكثر موضوعية لأن بعد الباحث عن الظاهرة المدروسة يقلل من احتمال تأثيره فيها، لكن أيضا هذا البعد قد يصعب على الباحث فهم حقيقة الموقف كونه لا يستطيع قراءة المعاني التي يمكن ان تتضمنها تصرفات المبحوثين.

وتقسم الملاحظة وفقا لاتصال الباحث إلى قسمين:

أ. **ملاحظة مباشرة:** يقوم الباحث هنا بملاحظة سلوك معين من خلال اتصاله مباشرة بالأشخاص أو الظواهر التي يدرسها.

مثلا: ملاحظة الباحث لسلوك العاملين بالمصنع أثناء أدائهم

ب. **ملاحظة غير مباشرة:** تقوم هذه الملاحظة حينما يتصل الباحث بالسجلات والتقارير والوثائق في مختلف أنواعها التي يمكن أن تعطي انطباعا عن الفرد أو الجماعة التي يريد الباحث ملاحظته.

مثلا: وفقا للمثال السابق فالباحث هنا سيعتمد على السجلات وتحتويه من بيانات مثل تقارير الأداء لمعرفة أداء المبحوثين

في هذا النوع من الملاحظة تتأثر مصداقية نتائجها بمدى مصداقية هذه السجلات والتقارير.

وهناك من يقسم الملاحظة أيضا من ناحية القصد إلى قسمسن:

أ- ملاحظة مقصودة: حيث يقوم الباحث بالإتصال الهادف بموقف معين أو أشخاص معينين لتسجيل مواقف معينة .

ب- ملاحظة غير مقصودة (Accidental) : حيث يلاحظ عن طريق الصدفة وجود سلوك ما .

وهذا النوع من التقسيم تناول الملاحظة من حيث قصد الباحث في ملاحظة السلوك وهو تقسيم قريب جدا من التقسيم الأول الذي تناول الملاحظة من حيث درجة الضبط(البسيط و المضبوط) مع الاختلاف في طريقة العرض .

كما تختلف طرق ملاحظة السلوك أيضًا اعتمادًا على ما إذا كان التحليل يركز على فرد أو ثنائي أو مجموعة:

- **عندما تركز الدراسة على تحليل سلوك الفرد،** هناك احتمالين:
  - يركز التحليل بشكل بحت على سلوك الفرد
  - يركز التحليل على سلوك الفرد في التفاعل مع شيء (أو آلة).

الحالة الثانية هي بين ملاحظة الفرد وملاحظة الثنائي، اعتمادًا على ما إذا كان الشيء يعتبر شريكًا في التفاعل أم لا.

تُستخدم "طريقة ساحر أوز" [1] في سياق التفاعل بين الإنسان والآلة (النظام الاصطناعي). من أجل دراسة رد فعل الإنسان على نظام تفاعلي، يتلاعب عامل غير مرئي بالتغذية المرتدة التي يقدمها النظام. على سبيل المثال ، استخدم كوزيما(Kozima 2008) هذه الطريقة لمراقبة السلوك الاتصالي(التواصلي) لدى الأطفال الذين يعانون من إعاقات في النمو، ومن أجل التغلب على الصعوبات الناجمة عن غزو الكاميرا في دراسات التفاعل، صمم كوزيما ربوتا تفاعليًا سماه(Keepon) "كيبون" (الذي يشبه رجل الثلج)، هذا الروبوت له وظيفتان:

- لديه معدات المراقبة: الروبوت Keepon مزود بأجهزة استشعار (عيون عبارة عن كاميرات، والأنف يخفي ميكروفون)
- يعتبر شريك في التفاعل مع الأطفال (الروبوت الذي يتحكم به المشغل يتفاعل مع الطفل)، في هذه الحالة الثانية، يتمتع الروبوت بوضع مراقب أي ملاحظ و شريك تفاعل.

أما إذا كانت الدراسة تركز على ملاحظة التفاعل الثنائي: الملاحظة هنا يجب أن يكون الترميز فيها متزامن لسلوكيات شخصين خلال نفس وقت الملاحظة، في هذا السياق ينبغي أن تتيح البيانات التي تم جمعها إمكانية عكس الديناميكية التفاعلية الملاحظة بأكبر قدر ممكن من الدقة. مثلا دراسة العلاقة التفاعلية بين الأزواج.

أما إذا ركزت الملاحظة ديناميات المجموعة: يعد جمع الملاحظات في المواقف الجماعية يشكل تحديًا معقدًا يتطلب منهجية مناسبة.

أجرى Hill وآخرون(2014) دراسة حول العلاقات الاجتماعية التي يعيشها السكان الذين يعيشون في الأحياء الغنية أو المحرومة، تم جمع بيانات المراقبة عن طريق تسجيل صوتي على مدى أسبوعين في كل منطقة. وتم أخذ العينات بالمسح، حيث كان تركيز الملاحظة على: التركيب الاجتماعي للمجموعة، عدد الأفراد البالغين، جنسهم ولكل فرد، وضعيته ونشاطه.

أظهرت الملاحظات أن سكان الأحياء المحرومة كانوا أقل عرضة للبقاء بمفردهم وأن البالغين هناك كانوا أكثر عرضة للانخراط في التفاعلات الاجتماعية مقارنة بالأحياء الأكثر ثراءً. والمثير للدهشة أن هذه النتائج كانت متعارضة تمامًا مع تلك التي حصل عليها هؤلاء الباحثون سابقًا في هذه الأحياء نفسها من خلال استبيانات التقييم الذاتي. وخلصوا إلى أن المعلومات الواردة في الاستبيان عن التفاعلات الاجتماعية ليست وصفاً موضوعياً لهذه التفاعلات، بل تمثل تفسيراتها ومعناها.

ما يمكن قوله أن قيام الملاحظة على قواعد يجعل عمل الباحث سهلا، فمن خلال تحديد جدول زمني ثابت سيتمكن الباحث من مقارنة الملاحظات التي تم اجراؤها وتصنيفها. كما يجب اجراء الملاحظة بنفس الطريقة دون تغيير، واذا كان العكس فهذا ستكون له عواقب سلبية على النتائج.

---

[1] الساحر أوز هو عبارة عن فيلم يجمع بين فتاة ورجل قصدير وفزاعة قش يدور بينهم تفاعل أثناء مغامراتهم.

2.2. تقنية المقابلة:

تعرف المقابلة على أنها "تفاعل لفظي يتم بين شخصين ف موقف مواجهة حيث يحاول أحدهما وهو القائم بالمقابلة أن يستثير بعض المعلومات أو التعبيرات لدى المبحوث، والتي تدور حول آرائه ومعتقداته".

أ. انواع المقابلة:

يمكن التمييز بين عدة انواع من المقابلات(مقننة، عيادية، بؤرية)

- فالمقابلة غير المقننة هي التي لا يعد لها الباحث مسبقا (حديث اجتماعي، دراسات استكشافية، انتروبولوجية).
- المقابلة المقننة فهي تحوي على استمارة فيها مجموعة من الأسئلة محددة يتقيد الباحث بحرفيتها.
- القابلة العيادية فهي تشخيص مرض أو وضع اجتماعي والبحث عن حلول أو اقتراحات.
- المقابلة البؤرية فهي التي تجمع معلومات حول موقف معين.

أثناء المقابلة يمكن ان يقوم الباحث ببعض المداخلات منها:

- التكملة: وهي المداخلة التي تأتي لتزيد عنصرا للتماثل والتماهي المرجعي للمستجوب، وعلى الباحث ألا يعطي وجهة نظره، بل عليه الاصغاء فقط.

ب. الاعتبارات الرئيسية للمقابلة الجيدة:

- تحديد الأشخاص الذين سيجرى معهم المقابلة، وذلك للحصول على معلومات موثوقة أو موضوعية، وبالتالي يجب أن يقابل الأشخاص الذين لديهم معلومات حول الموضوع المدروس؛
- القيام بالترتيبات اللازمة لإجراء المقابلة، مثل تحديد مكان ووقت المقابلة بحيث يتناسبان مع ظروف المبحوثين،؛
- وضع خطة واضحة للمقابلة تتضمن الأسئلة التي سيتم طرحها، بمعنى الاعداد الجيد للأسئلة المقابلة؛
- القيام بتجارب تمهيدية للمقابلة، كقيام الباحث ببعض المقابلات التجريبية مع بعض الأصدقاء أو زملاء الدراسة؛
- التدرب على أساليب المقابلة وفنونها، وهناك ثلاث أمور يجب على الباحث اتقانها: خلق أجواء صداقة، فن القاء الأسئلة، الحصول على معلومات؛
- التأكد من صحة المعلومات التي تم الحصول عليها؛
- تحضير سجلا مكتوبا عن نتيجة المقابلة بأسرع وقت، وذلك للحفاظ على دقة البيانات والمعلومات التي تم الحصول عليها.

الدرس الثاني: قياس العلاقات الاجتماعية ''السوسيومتري''

يعتبر **مورينو** أول من فكر في الطريقة السوسيومترية كمنهج لتحليل العلاقات المتبادلة بين الأفراد داخل الجماعة.

1. تعريف السوسيومتري:

يقصد به القياس الاجتماعي وهومكوم من كلمتين (socio) اجتماعي، و(metry) قياس، وهذا القياس ليس مجرد اختبار فقطةوإنما وسيلة لتحديد موضوعات بعينها.

وقد عرفت مؤسسة "جاكوب مورينو" السوسيومترية بأنها:

- تحديد قوانين التطور الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية.
- تفسير صور البناء الداخلي للجماعات.
- دراسة الجماعات كوحدة كلية.
- ربط الكل بالجزء في الجماعة والجزء بالكل.
- الاهتمام بكل جزء بحد ذاته.

وفي الأصل فهة يركز على العلاقات التي تربط بين الأفراد خاصة، فهو يقيس مقدار التنظيم الذي تعبر عنه الجماعات الاجتماعية، والرائز السوسيومتري هو تلك الأداة التي تساعد في قياس مستوى التنظيم الذي تتمتع بها جماعة اجتماعية ما.

وتعتمد هذه الطريقة على أن يطلب من أفراد الجماعات الصغيرة اختيار فرد معين بالنسبة لصفة معينة ومحددة، ثم يتم ترجمة هذه النتائج إلى شبكة من العلاقات الاجتماعية، يرمز لكل فرد بدائرة واتجاه الاختيار بسهم من الذي يختار إلى المُختار، كما يمكن تسجيل هذه النتائج على شكل مصفوفات تبين نتائج الاختيار. فالسوسيومتري موضوع بحث ونظرية وطريقة تحليل.

2. خطوات اعداد الاختبار السوسيومتري:

عند إعداد الاختبار السوسيومتري يجب اتباع مجموعة من الخطوات:

أ. يقوم الباحث بدارسة تهدف إلى جمع المواقف والأنشطة التي تعكس جوانب التفاعل بين أفراد الجماعة، ويتم ذلك من خلال توجيه أسئلة مباشرة لبعض أفراد الجماعة عن الأنشطة التي يمارسونها في حياتهم سواء كانت في المدرسة أو الجماعة أو خارجها (كالمراجعة، اجراء البحوث، القيام برحلات، الجلوس في مقعد الدراسة...)

ب. يقوم الباحث بتصنيف هذه الأنشطو والمواقف إلى ثلاث جوانب:

- علاقات انسانية داخل المدرسة أو العمل أو...
- علاقات انسانية خارج المدرسة أو العمل أو...
- القيادة.

ث. اعداد عدد من الأسئلة التي تدور حول كل موقف من المواقف السابقة.

ج. التأكد من فهم المبحوث لألفاظ الأسئلة وعدم صعوبتها بتجربتها عليهم قبل تطبيق الاختبار.

ح. اجراء ثبات وصدق للاختبار وذلك من خلال سؤال أفراد الجماعة أو المدرسين لأو الرؤساء في العمل عن صحة الاختيارات.

3. أهداف القياس السوسيومتري:

- قياس مظاهر الألفة والنفور التي تحكم اجتماع جماعة معينة.
- معرفة التكتلات والتصدعات داخل الجماعة.
- اكتشاف درجات القيادة والشخصيات الفاعلة قصد انتقاء المشرفين والقادة.
- تمكين الفرد من معرفة أصدقائه في الجماعة.

- تنظيم الجماعة وإعادة بنائها على أسس نفسية اجتماعية.
- قياس العلاقات بين الفرد والفرد، وبين الفرد والجماعة، وبين الجماعة والجماعة وذلك لمعرفة مكانة الفرد.
- تحديد نمط التجاذف والتنافر بين الفرد وغيره وقد تكون هذه العلاقة فعلية محققة في الواقع أو مرغوب فيها أي يسعى الفرد إلى تحقيقها.
- قياس مدى جاذبية الجماعة ونفورها للأفراد، ودرجة تماسكها وتفككها.